محاورات مع الباب العالي

ـ قبل الرحيل ـ

١ ـ أسئلة متفرقة :

وترسم صورة قلبي .. ودقاته بعد كل قصيده
وتقرأ لي فقرة من جريده
وتسألني عن بلادٍ بعيده
وعن شاعرٍ مات في الجاهليه
وعن شاعر لا أقول اسمه الآنَ ...
عاش فقيرا وما زال يكتب شعرا ...
ويشرب قهوته في الفناء
وعن شاعرٍ في المقاهي .. يحوم
وعن شاعرٍ عشقته النجوم
وعن ـ صوت فيروز ـ ان كان يكفي لصدّ الهجوم

٢ ـ ردود سريعة :

جئتك من أقصى جبل في الشام
لا أملك الا ما يملكه أمثالي : ...
قمرٌ ونخيل وكروم
وحمامات فوق البيت تحوم
لكني لما جئتك كنت طري العود
أزحف كالنملة أخطف حبة قمحي
أتسلل كالحزن الاصفر كالقطّ النمرود
أخضرّ كما تخضرّ شطوط الجزر الاخرى
في العالم
ضحكت شفتاك وكنت بشوشا
وجلست أحدث نفسي
ـ عن طيبتك العليا ـ كالحالم
لكنك يا مولاي
ألقيت الحجر على رأسي
وأنا نائم
طرقت بابي أقدام الصبيان وقالوا :
مولانا يهواك
وضحكتُ على نفسي لمّا « شفتك » تهمس
في أذني :
انك تعشق شعري
وتحب المتنبي والاخطل والشعر العذري
والعرجي والملك الضليل
وبنيت قصورا من كذبك .. تسألني عن أشياء
تزعم أنك تجهلها
لكنك تعرفها
منذ أتيتك من أقصى جبل في الشام
منذ أتيتك يا ملك الكذابين ضيوفهم ...
والشام على كفي في عيني .. ماء المفطس
شجر الصفصاف يناديني ... أين الاشعار !
وأنا أحمل في قلبي بردى والعاصي والنيل
يا صاحب مزرعة ، بيت تملك آلاف الامتار
لكنك كنت بخيل
والشاعر مجنون عندك والله عليك دخيل
منذ أتيتك من أقصى جبل في الشام

٣ ـ تحفظات :

ولم أتكلم
عن الخبز والخوف .. ما قلت شيئا سوى
انني آه أعشق وقع المطر
ولم أتكلم
عن الذكريات المجيدة
ولم أتحدث عن المنتظر .

٤ ـ مزمور لسيادته :

وعلى أغصان الصفصاف
علقنا أعواد الذكرى
وبكينا شهرا
ونقشنا فوق صخور بيضاء وسوداء
أسماء القوم وأسماء السادة منهم
(لعنت تلك الاسماء)
من جعلوا قدمي في المنفى
رأسي في بحر المنفى
من قلعوا عينك يا زرقاء
وتذكرنا من قالوا :
تنسون الارض وتنسون الاشياء
ان كنت نسيتك يا أمّ المدن ويا ...
سيفا في وجه الهكسوس
ان كنت نسيت حدائقك الخضراء

ان كنت نسيت ضفائرك الشقراء
فلتأكلني حيتان البحر
ولساني يُقطع ان كنتُ نسيتُك ...
يا سيدة المدن الخضراءْ .

٥ ـ بعد الاغنية :

وقف عدوي في وجهي
أخبرني أن زمان الشعر مضى
فسكتّ.

٦ ـ رغبات أخرى :

ويسألني
اذا كنت أعشق « سيدة الشرق » أم ...؟
فقلت له آه يا سيدي ...
انني جئت من « كوكب الشرْ ..... »
أحب غناء الغذارى على نبع ماء
وأهوى خدود البنات.
وصوت البراكين ان كان يا سيدي
عربيّ السمات.
أحب فروتا
أحب الشرائط فوق ضفائرها اللولبيه
أحب أناشيدها المدرسيه
أحب فروتا
كسوسنةٍ أزهرت في الجرار
كتفاحةٍ في جبال الهوى
كصفصافة نبتت في حواف البحار
كعصفورة تنبش الارض تهتف : أين البذار !
أحب فروتا
واشتاقها مثلما العيسُ تشتاق ماء الغدير
واشتاقها مثل جدّي الذي ...
كان يرحل في سالفات الدهورْ
الى طلل أسمر مقفرٍ مثل منفى الابيْ
الى حجر أسودٍ شاله ذات يوم نبيٌّ
واشتاقها مثلما ...

٧ ـ مقاطعة ـ صمت :

وقف عدوي في وجهي
أخبرني أنّ زمان الشعر مضى
واعتدلت قامته
أطفأ سيجارته في قدح القهوه
لعن الماضي والحاضر والموتْ
وبكى ثم تسمّر في جلسته
لم ينبس الا بالصمتْ
قلت علامات الصوفية والقادة والوزراءْ
ان قالوا : فعلوا
أو صمتوا : قتلوا
أو حنّوا للكأس : اشتعلوا
حوقل مولانا ...
ـ قالت أمي : « ان الانسان اذا ...
حوقل يعني ان الله قريب »

٨ ـ تقاطع آخر :

وقف عدوي في وجهي
أخبرني أن زمان الشعر .. مضى

٩ ـ جلسة ختامية :

فقلتُ له : وزمان السكوت انقضى
. . . . . .
أتيتك في داخلي نيّة للرحيل
أتيتك أشكوك للارض يا سيدي
وأشكوك للناس للفقر ... آه
وللفقر يا سيدي ثورة قد تطولْ
أتيتك لا الحزن في خاطري
انني من عويل الشجر
سآتيك بعد الرحيلْ
أعرّي النياشين من رجسها
ومن فوق نهديك يا سيدي
وآتيك كابوس رعب .. يدقّ العُنُقْ
وآتيك في الثمر المحترق
وآتيك من جبل الجنّ من باكيات الطلول
ومن فوق رابيتي
من بطون الحقولْ
فان كنت تحرمني من زمان قليلْ
ومن باقة الزهر من عشبةٍ في « بلادي الجديدة»
ومن رفقائي
ومن صحبتي للعيون الفريدة
فاني أتيتك في داخلي نية للرحيل
أتيتك في داخلي نية للرحيل .

القاهـرة — م٠ عز الدين المناصرة